

مناهج بحوث الإعلام : التصنيفات المختلفة وبعض القضايا الخلافية

الدكتور : صالح بن بوزه

مقدمة :

ان كلمة المنهج اللاتينية الأصل (METHODUS) لها مقابل في اللغة العربية بمعنى : طريق أو سلوك . ويلاحظ أنها مشتقة في الأصل من الفعل «نهج» ، حيث يقال نهج الأمر ، أي : أبانه وأوضحه⁽¹⁾ .

وانطلاقاً من ذلك فان المقصود بعبارة «منهج البحث العلمي» هو : الطريق أو الأسلوب الذي يسلكه الباحث العلمي في أي فرع من الفروع عند تقصيه للحقائق⁽²⁾ .

أما معناه الفلسفي الشامل فهو «مجموعة العمليات الفكرية التي بواسطتها يسعى العلم الى الوصول الى الحقائق التي ينشدها فيوضحها ويتحقق من صحتها»⁽³⁾ . ولذلك فانه يمكن تقديم تعريف اجرائي لهذا المصطلح على أنه «مجموعة الخطوات التي يتبعها الباحث ليكتشف حقيقة ما أو يوضحها»⁽⁴⁾ .

وتذهب مادلين غرافيتز في نفس الاتجاه حيث ترى بهذا الخصوص أن «المنهج هو مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم بلوغ الحقائق المتوخاة ، مع امكانية تبيانها والتأكد من صحتها»⁽⁵⁾ .

وبالرجوع الى البدايات التاريخية لاستعمال هذا المصطلح ، وأصوله يتضح أن كلا من كامتي : (METHODE) الفرنسية و (METHOD) الانجليزية ، يونانية الأصل ، إذ يذكر العلماء والباحثون في علم المناهج أن الفيلسوف اليوناني : افلاطون هو أول من استعمل كلمة (METHODUS) منهج ، وذلك عند الحديث عن : البحث أو النظر أو المعرفة . واستخدمها أرسطو من جهته أيضاً بمعنى «البحث»⁽⁶⁾ .

لقد تميز تطور مناهج البحث العلمي بالبطء الشديد ، وذلك نتيجة لارتباطه

بتطور الفكر الإنساني الذي مر بعدة مراحل قبل أن يصل الى مرحلة التفكير العلمي المعاصر . وهذه المراحل هي :

1 - المرحلة الأولى : وهي التي تميز فيها البحث عن الحقائق والمعرفة بالاكْتفاء بالمصادفة ثم المحاولة والخطأ والصواب ، واستخلاص استنتاجات وتعميمات انطلاقاً من الخبرة الذاتية اليومية .

2 - المرحلة الثانية : وهي التي عرفت بانتقال الإنسان من مجرد الاعتماد على الخطأ والصواب الى الاعتماد على مصادر أخرى لاستقاء الحقائق والمعلومات : «مصادر الثقة والتقاليد السائدة» . ولذلك عادة ما يطلق عليها البعض مرحلة المعرفة النقلية .

3 - المرحلة الثالثة : وتتضمن استخدام أسلوب جديد في النظر الى الكون في محاولة لفهم أسرار وقوانينه ، وهذا عن طريق التأمل والحوار . مما جعل البعض يسميها بمرحلة المعرفة الفلسفية .

4 - المرحلة الرابعة : وتميزت باستخدام الإنسان للاستدلال والاستقراء ، ووضع الفروض والتجارب . ومن ثم أطلق عليها مرحلة المعرفة العلمية⁽⁷⁾ .

إن هذه المراحل ليست منفصلة عن بعضها البعض . وقد ساهمت في هذا التطور أربع حضارات كبرى . فالمصريون القدماء برعوا في التطبيقات العلمية ، خاصة فن التحنيط والهندسة والزراعة ، واتجه تفكيرهم المجرى الى الآلهة والخلود . وتمكن فلاسفة اليونان من وضع قواعد للتفكير في صورة «المنهج القياسي (الاستدلال)» . بينما انصب الاهتمام الأكبر في عصر الحضارة الرومانية على الممارسة العملية . واستفاد كبار مفكري الحضارة العربية الإسلامية من سبقهم ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوا التفكير المنطقي المجرد الى الملاحظة والاستعانة بأدوات القياس للوصول الى أدق النتائج العلمية الممكنة ، ونجد من بين هؤلاء العلماء : الحسن بن الهيثم ، جابر بن حيان ، الخوارزمي ، البيروني ، الرازي ، ابن سينا ، الإمام أبو حامد الغزالي...⁽⁸⁾ .

ويذكر فريدريك معتوق ، بأن صاعد الأندلسي (أحد كبار علماء الشريعة في الأندلس ، (المتوفي سنة 1070م) قد سبق الفيلسوف الفرنسي مونتيسكيو في التفسير الاجتماعي . حيث حاول وضع أسس «المنهج البيئي» من خلال كتابه «طبقات الأمم»⁽⁹⁾ .

وإذا كان على صاعد الأندلسي قد ركز دور العامل الجغرافي والمناخي في تشكيل الوعي واكتساب المعارف والخبرات العلمية فإن العلامة ، عبد الرحمن بن خلدون من جهته نجدته قد تمحور جل تفكيره حول دور العنصر التاريخي - الإجتماعي في نشأة وتطور واندثار أو انهيار الأمم . ويؤكد ابن خلدون من جهة أخرى على التلازم المطلق بين التقدم العمراني والحضاري من جهة ، والتقدم الفكري والمعرفي من جهة أخرى ، «إن العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة ...»⁽¹⁰⁾ .

إن الخلاصات العلمية والمعرفية القيمة التي انتهى إليها ابن خلدون آنذاك لم تجد أي سند أو اهتمام بها في الأقطار العربية ، ولذلك حدثت تلك القطيعة المعرفية والعلمية الكبرى في المرحلة التي جاءت بها بعده . خاصة في ظل الاستعمار العثماني الذي أعاد البلدان العربية عدة قرون إلى الوراء بفعل الجمود الفكري الذي فرضه .

وفي مقابل هذا التفهقر الفكري العربي الإسلامي المفروض من قبل الحكم العثماني ، يلاحظ أن أوروبا بدأت تستفيق من سباتها العميق لتنفض عنها غبار القرون الوسطى تدريجياً . ولذلك كان اختراع ورق الطباعة إبان القرن 14 ، ثم آلة الطباعة الميكانيكية في القرن 15 ، من قبل فوتمبرغ .

وشهد القرن 17 ، بداية انتشار الصحف الحديثة ، خاصة في كل من فرنسا وإنجلترا . وكذلك اكتشاف عدة اختراعات مثل : الميكروسكوب (1690) ، والآلة البخارية ، وقانون الضغط الهوائي (1644) . غير أن أهم ما ميز هذا القرن بدون شك كان ذلك الحدث البارز المتمثل في إنشاء أول أكاديمية علمية في لندن سنة 1662 عرفت باسم «الجمعية الملكية للاكتشافات العلمية على أساس تجريبي» (The Royal Society of London for Improving Natural Knowledge) ، وتبعتها إنشاء أول أكاديمية للعلوم في باريس بفرنسا ، خلال نفس القرن (l'Académie des Sciences)⁽¹¹⁾ . وهو ما مثل أول اعتراف رسمي بأهمية الفكر العلمي من جهة ، ومن جهة أخرى بداية (التمرد) الحقيقي على أفكار وتعاليم الكنيسة ومساماتها وطقوسها ، وتراجع بذلك الفكر الطوباوي والمثالي .

وساهم هذا التطور في توضيح أكثر لمصطلح المنهج (Methode) . فخلال النصف الثاني من هذا القرن عرف الفلاسفة مصطلح المنهج ، بأنه «فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها أو

من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين» . وبذلك فقط اتضحت المعالم الأولى الأساسية لفكرة المنهج العلمي ، وهذا بفضل العالم الفرنسي «فرانسيس بيكون» (Francis Bacon) وغيره من علماء ذلك العصر⁽¹²⁾ ، وخاصة أولئك الذين اهتموا بالمنهج التجريبي .

لقد اتسمت القرون الثلاثة التالية (20/19/18) بظهور أهم الاكتشافات العلمية ، خاصة في مجالات : الرياضيات ، الفيزياء ، الكيمياء ، علم الفلك ، العلوم الطبيعية ... الخ ، وكانت نتيجة ذلك بروز ما عرف خلال القرن 18 ، بمذهب «العلموية» (Scientism) الذي لا يعترف دعائمه سوى بالمعرفة التي يتوصل إليها عن طريق التجربة العلمية فقط ، (تبني الموضوعية المطلقة انطلاقاً من التجربة الحسية) . ويمثل القرنان (19 ، 20) محطة متميزة في احتدام النقاش والصراع الفكري ، فقد ظهرت النظرية الماركسية التي سعت الى نفس النظريات السابقة وابطال مفعولها الواقعي ، وقدمت البديل لذلك في أطروحاتها القائلة بمادية المنهج العلمي ، فالحركية الاجتماعية والفكرية والثقافية مرتبطة بالأساس بالواقع الاقتصادي المنبثق في نهاية الأمر من نظام علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج ، أي بمعنى آخر فإن المنهج الماركسي قائم على ثنائية : المادية التاريخية والمادية الجدلية . وحاول المفكر الاجتماعي الفرنسي (اميل دروكايم) (EMILE DURKHEIM) طرح بديل مضاد للنظرية الماركسية حيث ينتهي في إحدى خلاصاته الى أنه لا وجود في الواقع لأسس التعارض بين الفكر والحياة الاجتماعية من جهة ، وبين الواقع الطبيعي والمادي من جهة أخرى⁽¹³⁾ . وساهمت النظرية البنوية - خاصة مع كلود ليفي شتراوس - في تدقيق أوجه النقد والنقص في النظريات السابقة . إذ يؤكد دعائهما بان التقدم والتطور غير تاريخي ، وغير جدلي ، ومن ثمة فهو غير حتمي .

لقد دفع الاهتمام بالفكر العلمي الى المساهمة في احداث تطور مرحلي في الفكر الاجتماعي فكانت حصيلة ذلك مثلاً اكتشاف ما عرف بالأدب الاجتماعي والمسرح ، ابان القرن السابع عشر . وهو ما ساهم في بروز النقد الاجتماعي ، والملاحظة التي أصبحت فيما بعد إحدى أهم الأدوات المستخدمة في بحوث العلوم الاجتماعية . وتأسست أهمية النقد الاجتماعي بحلول القرن التاسع عشر ، نتيجة لأفكار الثورة الفرنسية⁽¹⁴⁾ . ومساهمات فلاسفة عصر الأنوار من خلال الموسوعة التي ألفوها .

ولذلك يلاحظ أنه بقدم القرن التاسع عشر تأصلت فكرة منهج البحث العلمي ، كما توسع استخدام هذا المصطلح ، بحيث أصبح معناه أكثر تحديداً ، وهو «الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من قواعد عامة ، تهيئ على سير العقل وتحدد عملياته حتى تصل الى نتيجة معلومة» أو أنه «البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول الى الحقيقة» ، وقيل عنه أيضاً أنه «الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم»⁽¹⁵⁾ .

وتذكر كتب تاريخ مناهج البحث العلمي أيضاً أن الفيلسوف (كانت (E. KANT يعتبر أول من استخدم مصطلح «علم مناهج البحث» (Méthodologie) وذلك للدلالة على العلم الذي يتم بدراسة مشكلات المنهج والمناهج⁽¹⁶⁾ . غير أن تقسيم أو تصنيف تلك المناهج بقي مع ذلك موضع خلاف بين الباحثين والمؤلفين في علم المناهج .

التقسيمات القديمة والحديثة لمناهج البحث العلمي

٦ - التقسيمات القديمة (الكلاسيكية) :

يعود هذا الاختلاف في أصله الى اختلاف الرؤى والمنطلقات والمعايير وطرق التفكير . وكذلك تعدد تخصصات ومجالات البحوث .

ويلاحظ بهذا الخصوص أن كتب مناهج البحث القديمة تزخر بكثير من المصطلحات حيث نجد فيها عدة محاولات لتصنيف مناهج البحث مثل الاتجاه الذي يذهب الى التأكيد على وجود منهجين اثنين هما : المنهج التحليلي الاكتشافي ، والمنهج التركيبي التأليفي . وهذا في مقابل اتجاه آخر يرى أن مناهج البحث العلمي تنحصر من حيث العدد في ثنائية واحدة ، مكونة من منهجين اثنين فقط هما : المنهج التفاسي . والمنهج التأملي العقلي .

ويقصد بالتفاسية أن العقل بإمكانه أن يهتدي الى اكتشاف ومعرفة الحقيقة العلمية دون التقيد مسبقاً بتحديد الأساليب والقواعد أو الخطوات الاجرائية اللازمة لذلك⁽¹⁷⁾ .

أما المنهج التأملي العقلي (منهج التأمل الاستدلالي أو الاستنباطي) فيعد من الناحية التاريخية من أقدم مناهج البحث العلمي . حيث استطاع بواسطة الفلاسفة

والمفكرون القدامى من الحصول على أولى المعارف الإنسانية⁽¹⁸⁾ . ويرى أصحاب هذا المنهج أن العقل والفكر يخضع لقواعد منظمة ومرتبطة ومعلومة أثناء البحث عن الحقيقة والحصول على المعرفة . وقد واجهت هذه التقسيمات عدة انتقادات من بينها أنها لا تشكل مناهج قائمة ومستقلة بحد ذاتها ، وإنما مجرد اجتهادات عامة غايتها القصوى التعرف على وسائل جمع البيانات والحصول على المعرفة .

(2) - التقسيمات الحديثة لمناهج البحث العلمي :

تتنوع الآراء بخصوص التقسيمات الحديثة لمناهج البحث العلمي . فالبعض يصنفها إلى مناهج (رئيسية أو أصلية ، أو أساسية) وهي حسب رأيه تنحصر في كل من : المنهج الوصفي - المنهج التاريخي - المنهج التجريبي⁽¹⁹⁾ . بينما يقسمها البعض الآخر إلى ثلاثة أنواع ، وتمثل في : البحث الأساسي (Basic Research) ، والبحث التطبيقي (Applied Research) ، والبحث الموقفي (Action Research)⁽²⁰⁾ .

وهناك من يوسع دائرة التقسيم بحيث تشمل مناهج أخرى ، والتي هي في نفس الوقت معتبرة لدى المؤلفين والباحثين الآخرين مجرد أدوات أو أساليب للبحث وبالتالي ليست مناهج علمية مستقلة وقائمة بذاتها . ونجد من بين أشهر هؤلاء على سبيل المثال وليس الحصر ، التصنيف الذي وضعه وايتني (WHITNEY) ، وكذلك تصنيف ماركيز (MARQUIS) .

فقد قسم وايتني مناهج البحث العلمي إلى الأنواع التالية : 1 - المنهج الوصفي 2 - المنهجي التاريخي 3 - المنهج التجريبي 4 - البحث الفلسفي 5 - البحث التنبؤي 6 - البحث الاجتماعي 7 - البحث الإبداعي⁽²¹⁾ .

وهناك من يتخذ أسلوب البحث والأدوات المستخدمة في جمع البيانات والمعلومات معياراً أو مقياساً أساسياً في تصنيف مناهج البحث العلمي وذلك على النحو التالي :

- 1 - المنهج التجريبي : وهو الذي يعتمد على اجراء التجارب تحت شروط معينة .
- 2 - منهج المسح : وهو الذي يعتمد على البيانات الميدانية ، باستخدام وسائل وأدوات متعددة . وهو ما يجعله يتضمن الجوانب التالية : الدراسة الكشفية - الدراسة الوصفية - الدراسة التحليلية .

3 - منهج دراسة الحالة : وهو ذلك المنهج الذي ينصب جل اهتمامه على الدراسة التفصيلية والمعمقة لوحدة ، أو مفردة معينة ، بغرض التوصل الى أدق التفاصيل والمعلومات والاستنتاجات المتعلقة بها .

4 - المنهج التاريخي : ويعتمد على الوثائق المختلفة والمخلفات التاريخية والحضارية⁽²²⁾ .

أما ماركيز فيصنف من جانبه مناهج البحث العلمي علي النحو التالي⁽²³⁾ :

1 - المنهج الانثروبولوجي

2 - منهج دراسة الحالة

3 - المنهج الفلسفي

4 - المنهج التاريخي

5 - منهج المسح

6 - المنهج التجريبي .

كما أن التقسيم الذي يقترحه عمار بوحوش لا يختلف كثيراً عن تصنيف ماركيز (MARQUIS) إذ يرى أن أنواع المناهج تختلف من باحث لآخر لكنه مع ذلك يمكن حصرها اجمالاً فيما يلي :

1 - المنهج الوثائقي أو التاريخي (Historical Method)

2 - المنهج التجريبي (Experimental Method)

3 - المنهج المسحي (Survey Method)

4 - منهج دراسة الحالة (Case Study Method)

5 - المنهج الإحصائي (Statistical Method)

6 - منهج تحليل المضمون (Content Analysis Method)

غير أن عبد الوهاب إبراهيم يضيف قضايا خلافية أخرى الى مسألة تصنيف مناهج البحث . فهو يرى أنه بالإمكان وضع تصنيف عام لها وهذا على الشكل التالي :

1 - المنهج الإستطلاعي : وهو يفيد في التوصل الى استبصارات جديدة حتى يمكن بعد ذلك صياغة مشكلة البحث بصورة أدق وتطوير بعض الفروض أو توضيح بعض المفاهيم وتحديد أولويات المسائل والموضوعات الجديدة بالبحث مستقبلاً .

2 - المنهج الوصفي : ويهدف الى جمع المعلومات ووصف الخصائص المتعلقة بمجتمع ما ، أو موقف اجتماعي معين . ويعد المسح الاجتماعي (social survey) ودراسة الحالة (case study) من بين الطرق التي تعبر عن نماذج الدراسات الوصفية .

3 - المنهج التاريخي .

4 - المنهج التجريبي .

5 - المنهج الأنثروبولوجي : ويتميز باستعمال الملاحظة المباشرة أو المشاركة .

6 - منهج تحليل المضمون .

7 - المنهج الفينومينولوجي (الظواهرية) (phenomenology) : وتمثل خبرة الحياة اليومية وعالم الحياة المعطى كما يتجسد من خلال تركيبات من المعرفة التي يتم تكوينها ونقلها اجتماعياً ، مادة التحليل الفينومينولوجي .

8 - المنهج الانتنوميتودولوجي (منهجية الجماعة) (ethnomethodology) وقد وضع هذا المصطلح شارفينكل (H. GARFINKEL) سنة 1967 . ويهدف⁽²⁴⁾ هذا المنهج الى فهم «الأفراد من خلال تصوراتهم العقلانية لعلاقات تفاعلهم مع الآخرين» .

ولا تختلف عن ذلك وجهة نظر انشراح الشال إلا بشكل جزئي ، فهي ترى أن التصنيف الأمثل والشامل لمناهج البحث العلمي انما ينحصر في المناهج الخمسة الآتية :

1 - منهج التأمل الإستدلالي .

2 - المنهج التجريبي .

3 - منهج الاسترداد التاريخي .

4 - المنهج الوصفي .

5 - المنهج الجدلي .

وانطلاقاً من هذا التقسيم الخماسي ، تحدد أيضاً ما تعتبره مجرد «أساليب» أو «أدوات» البحث الخاصة بجمع المعلومات والمعطيات بخمسة أنواع ، وهي :

1 - التجريب

2 - المسح

3 - تحليل المعلومات الخاصة بالسجلات

4 - التأريخ

5 - دراسة الحالة⁽²⁵⁾ .

إن هذا التقسيم لأساليب وأدوات البحث يبدو غامضاً وغير دقيق حيث يبدو منه مثلاً عدم التمييز بين نوع الدراسة أو البحث ومستويات الدراسات المسحية . كما أن «التحليل» كأسلوب أو أداة لا يقتصر فقط على السجلات .

بحوث الإعلام : أنواعها ومناهجها :

يتبين من العرض الموجز السابق لنشأة مناهج البحث وتصنيفاتها المختلفة أنها تحمل في طياتها الكثير من القضايا الخلافية . ولذلك نجد أنه حينما شرع في إخضاع الظاهرة الإعلامية لمعايير البحث العلمي منذ منتصف القرن الحالي انتقلت تلك الخلافات في العلوم الاجتماعية والإنسانية لتمتد الى مجال الدراسات الإعلامية . وبالنظر لتشعب وتعدد أوجه الخلاف فقد أطلق عليها فاروق أبو زيد «فوضى المصطلحات المنهجية في الدراسات الصحفية» . وهي تشمل الخلاف حول المصطلح بمحد ذاته ، ثم الخلاف بشأن تصنيف مناهج البحث والأدوات والأساليب المستخدمة في الدراسات الإعلامية ، وكذلك بين أنصار الأساليب الكمية ، والأساليب الكيفية في بحوث الإعلام .

فقد استخدم مصطلح «المنهج» في الأبحاث الإعلامية ليبدل على ثنائية من المعاني المختلفة السياقات وهي : المنحى - المنهاج أو الخط - العمليات العقلية التي تؤدي الى تحقيق هدف البحث - طريقة إجراء البحث - وسيلة جمع البيانات - أسلوب جمع البيانات - اتجاه الغرض من البحث (وصفي) أو (برهاني) - مسلك البحث .

وأدى هذا الاختلاف حول دلالة مصطلح «المنهج» والسياق المناسب لاستخدامه الى عدم الاتفاق أيضاً حول المعنى الدقيق لكل من مصطلحي : «الأداة» (Tool) «والأسلوب» (Technique) . فهناك من ينظر الى (الأداة) كوعاء لجمع المعطيات البحثية ، و(الأسلوب) كطريقة لاستخدام تلك المعطيات ومعالجتها . في حين يرى البعض الآخر أنه يمكن استخدام أحد المصطلحين للدلالة على الآخر . وكان من نتيجة ذلك أن توسع الخلاف ليشمل عدم الاتفاق على التصنيفات وأسماء المناهج الخاصة ببحوث الإعلام .

ويبرز في مقدمة ذلك كون البعض يطلق مصطلح المنهج على «المسح» . في حين

يراه البعض الآخر من الباحثين مجرد «أداة» من أدوات ما يعتبرونه بدورهم «المنهج الوصفي» ، وكذلك الشأن بالنسبة لـ «تحليل المضمون» و«دراسة الحالة» .

ويشتد الخلاف أكثر عندما يتعلق الأمر بالمفاضلة بين التحليل الكمي والكيفي وأولوية أحدهما على الآخر⁽²⁶⁾ ، باسم الموضوعية أو اللاموضوعية . وييل الباحثون المحدثون الى الجمع بينهما وهذا للاستفادة من مزاياهما معاً .

ويعود السبب في ذلك للارتباط الوثيق بين بحوث الاعلام ومناهجها المستعارة أصلاً من العلوم الاجتماعية . وكذلك الظروف التي ساعدت على تطور الفكر الاجتماعي ومناهج البحث الخاصة به .

فعند مراجعة المسيرة التاريخية لنشأة مناهج البحث العلمي يلاحظ أنه من غير الممكن الفصل بين مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال ، ومجالات المعرفة الأخرى ، فخلال القرون الثلاثة الماضية تم التبلور التدريجي للبحوث ومناهجها ، خاصة في مجال علم الاجتماع ، وعلم الاجتماع الوصفي . ويتبين أن الأبحاث الأولى في هذا الميدان كانت تركز معظم اهتمامها باستخدام الأدوات والأساليب البحثية المتوفرة آنذاك ، لمعرفة مثلاً : الصراع المتجذّر بين طبقات المجتمع ، وكذا مشاكل الجماهير المتعددة الخلفيات - الصراعات والأزمات الاجتماعية - تنظيم الاقتصاد - تنظيم المؤسسات الصناعية وظروف عملها وهو ما جعل البحث الاجتماعي يراوح مكانه . وبقي الأمر كذلك الى غاية القرن التاسع عشر .

لقد شهد هذا القرن كما أسلفنا تنوع التيارات الفكرية والايديولوجية ، وتجدد التيارات السياسية الكبرى . ولذلك فقد اكتسب البحث الاجتماعي أهمية خاصة ، مما جعل معالمه النظرية تبدو أكثر وضوحاً ودقة . وقد مكن هذا التطور البحث الاجتماعي ، عقب الحرب العالمية الثانية من الانتشار خارج قارتي أوروبا وأمريكا الشمالية ، ليشمل دولاً ومؤسسات بحثية أخرى في كل من أمريكا الجنوبية وآسيا . كأمند مثلاً .

وانطلاقاً من ذلك فإنه يلاحظ أن علم الاجتماع ، كان من بين أوائل العلوم التي اتخذت منهجاً تطبيقياً نحو مشكلات الاتصال . ولذلك فقد قام بعض الباحثين مثل : بارك (1925) وميد (1934) ، ولازارسفيد (1933 - 1949) ، لوين (1947 - 1951) ، هوفلاند (1949 - 1954) ، وكولي (1956) ، هارولد لاسويل

(1948) ، بانجاز عدة أبحاث تناولت مختلف التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع بفعل استخدام وسائل الاتصال . وبالنظر للدور الحيوي الذي تقوم به هذه الوسائل في التواصل الاجتماعي فقد اعتبرت كسبيل أساسي لبقاء وتنظيم المجتمع . ونتيجة للتعقد الذي تتميز به الظاهرة الاتصالية في المجتمع فقد تعددت التعريفات الخاصة بمفهوم الاتصال (أكثر من 160 تعريفا سنة 1977) ، وكذلك مجالات البحوث . حيث ارتبطت الدراسات الريادية الأولى بالمجالات السياسية والتاريخية وعلم الاجتماع السياسي ، ثم علم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس التجريبي لمعرفة الأثر النفسي الذي تحدثه وسائل الإتصال .

ان المتغيرات السياسية والاقتصادية والعسكرية الناتجة عن الحرب العالمية الثانية كان لها انعكاس كبير على الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاعلامية . ولذلك فقد اتسعت دائرة الاهتمام بالاعلام والاتصال لتنتقل من مجرد النظر إليه كقنوات ناقلة لمضامين معينة ، الى محاولة فهمه في اطار وظيفي وايدولوجي أكثر شمولية . وكان من نتيجة ذلك التوصل الى التصنيف ثم الصياغة العامة لما عرف بنظريات الإعلام من قبل ويلبور شرام وغيره خلال الخمسينيات وهذا تحت تأثير الاهتمام الجديد الذي أصبحت تحظى به وسائل الاعلام على المستويين الوطني والدولي .

وقد صاحب هذا العنجد التنظيري المتميز طرح العديد من التساؤلات الجديدة حول ماهية العلاقة بين الاعلام والاتصال والعلوم الاجتماعية الأخرى ، ومدى امكانية الاستفادة من أطرها النظرية والتطبيقية في مجال مناهج بحوث الاعلام والاتصال .

وتنبع شرعية وعلمية تلك التساؤلات من حقيقة مؤداها التبعية أو الارتباط بين علوم الاعلام والاتصال وبقية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وذلك لأن الاعلام والاتصال كان قد ظهر في البداية كنشاط إنساني يعبر بالدرجة الأولى عن الحاجة التواصلية ، وفي المرحلة التالية من التطور الإنساني والتقدم الحضاري أصبح ينظر لهذا النشاط التواصلية من خلال الوسائط أو الأقفية التي يستخدمها للتكفل بنقل تلك الرسائل التواصلية (المضامين) .

أما المرحلة الثالثة فقد شهدت بداية تبلور الأفكار والتوجهات الداعية الى ضرورة إيجاد اطار معرفي أو نظري عام لعملية الاتصال . وفي خضم هذا البحث الدؤوب عن

ملا نصيب هذه المرحلة من صلاحيات البحث

الاطار والمنطلقات النظرية ظهرت الحاجة اذن الى وضع قواعد وأسس منهجية تخضع لها مجمل البحوث العلمية التي تتم في ميدان الاعلام .

ولذلك يمكن القول أن مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال كانت وما تزال ذات علاقة وطيدة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية ، أو بمعنى آخر فهي بمثابة مزيج أو تركيب منهجي يجمع بين مختلف العلوم المرتبطة بالحركة الاجتماعية ، وتستفيد من مختلف تلك المناهج ، وهذا بعد تكييفها أو تطويعها قصد التوصل الى فهم واستيعاب المنطلقات العلمية في البحوث الاعلامية ومحاولة الوقوف على خصائص الظاهرة الاعلامية في مختلف تجلياتها .

1 أنواع الدراسات الإعلامية :

يثور خلاف بين بعض المؤلفين في علم المناهج والباحثين في هذا المجال ، وذلك بسبب الخلط بين نوع البحث أو الدراسة من جهة ، والمنهج أو المناهج المستخدمة فيها من جهة ثانية ، ثم مجالات البحث من جهة ثالثة . حيث يصنف هؤلاء الدراسات الاعلامية تبعاً لمعيار المنهج المستخدم فيها أو مجالها ، وهذا بدل تحكيم معيار طبيعة الدراسة بحد ذاتها .

ويتبين من الدراسة المقارنة لأغلب الرسائل الجامعية (ماجستير - دكتوراه) في العالم العربي ، وكذلك الدراسات التطبيقية المنشورة بالمجلات الأكاديمية المتخصصة ، أن هذا الخلط يتجه نحو التناقض . وقد يتلشى كلية في مرحلة قادمة بفضل تنامي الاقتدار المنهجي ، والضبط العلمي لعدد من المفاهيم والجوانب الاجرائية في بحوث الاعلام ، والتي ما تزال في الوقت الراهن تشكل جزءاً من القضايا الخلافية بين الباحثين والمتخصصين .

ويذهب سمير حسين في نفس الاتجاه ليؤكد على أنه بغض النظر عن مجال البحث ومستوياته وتصنيفاته المتعددة المعايير فإنه يلاحظ أن الرأي قد استقر على تحديد أنواع الدراسات التي تجري في علوم الاعلام والاتصال بثلاثة أنواع فقط ، وهي :

أولاً : البحوث الاستطلاعية : ويطلق عليها أيضاً البحوث الكشفية أو الاستكشافية - البحوث الريادية - البحوث التهديدية - البحوث الصياغية .

بصرف النظر عن الاختلاف في التسمية والمترادفات فإنها تلتقي في مجموعها عند

دلالة مركزية واحدة تتبثل في أنها تلك البحوث الإعلامية التي تركز على اكتشاف الظاهرة أو الظواهر موضع الدراسة ، ومن ثم تحاول بلورة مشكلة علمية فيما بعد ذلك لاجراء المزيد من البحوث المتعمقة والمفصلة بشأنها . أو بمعنى آخر فإن الباحث انما يقوم بانجاز هذا النوع من الدراسة الأولية بغرض التعرف أكثر على مشكلات أو ظواهر تنعدم أو تقل عنها المعلومات والمعطيات . وبالتالي فإن هذه الدراسة الأولية ضرورية وأساسية حتى تكون قاعدة لانطلاق دراسات أخرى مستقبلية أكثر شمولية ودقة . وبالنظر لتلك الأهمية ، فإنه يتعين توخي الدقة والعناية اللازمة في الدراسات الاستطلاعية . ومن ذلك مثلاً ضرورة الالتزام بكل مراحلها وخطواتها الأساسية المتمثلة فيما يلي :

- 1 - القيام بمسح شامل للتراث العلمي (الدراسات السابقة) في مجال البحث .
- 2 - الاتصال بأهل الخبرة والباحثين السابقين من ذوي العلاقة بميدان البحث واستشارتهم والاستفادة ما أمكن من خبراتهم وتوجيهاتهم .
- 3 - أن الدراسة الاستطلاعية عادة ما تجري حول موضوع أو في مجال تندر فيه المعطيات أو تنعدم كلية . ولذلك فإنه بإمكان الباحث أن يكتفي فقط بطرح مجموعة من التساؤلات التي تفي بأغراض دراسته طالما أن شروط فرض الفروض غير متوفرة . ذلك لأن وضع الفروض ليس موضة أو عملية اعتباطية ، كما يلاحظ عند بعض الباحثين المبتدئين .

ثانياً : البحوث الوصفية (التشخيصية) : ان الوصف صفة أو نعت لطبيعة البحث ، ولكننا نلاحظ بعض الخلط سواء الناجم عن عدم التمييز الدقيق ، أو كنتيجة للالتزام المقلد للتقسيمات - خاصة - الكلاسيكية لأنواع مناهج البحث العلمي المتداولة في عدد من كتب مناهج البحث . تلك التقسيمات التي ترى أن الوصف منهج ، وليس صفة للبحث أو الدراسة .

وعند المقارنة بين أنواع الدراسات الإعلامية العربية والأجنبية ، فإنه يتبين أن نسبة كبيرة من بحوث الاعلام تندرج من حيث النوع ضمن الدراسات الوصفية . وتنسحب في مجملها على وصف المضمون وجمهور وسائل الاعلام ، وأساليب الممارسة . ويشترط في هذا النوع من الدراسات الإعلامية معرفة الباحث المسبقة بمشكلة البحث

ومجتمع البحث بشكل كاف . وكذلك المناهج والأدوات الملائمة التي سيوضحها في دراسته ، طبقاً للأهداف المسطرة للبحث .

ثالثاً : بحوث اختبار العلاقات السببية : يهدف هذا النوع من الدراسات الإعلامية بالدرجة الأولى الى التوصل الى استنتاج العلاقة السببية بين المتغيرات ، وذلك من خلال اجراء اختبار لمدى صحة فروض سببية معينة . وهذه المتغيرات هي :

- 1 - المتغير التابع (غير المستقل)
 - 2 - المتغير المستقل (المؤثر بنفسه على الظاهرة)
 - 3 - المتغير أو المتغيرات المتداخلة (المعتزلة) ، وتظهر مثل هذه المتغيرات في الدراسات الاعلامية خاصة في بحوث التأثير ، والإعلان .
- ورغم أهمية هذا النوع من الدراسات لما يمكن أن تقدمه من جهد نظيري للتقليل من التبعية الأكاديمية لمدرسة الغربية في بحوث الإعلام ، فإنه مع ذلك يلاحظ أن الباحثين والمؤسسات البحثية العربية لم تعط لها العناية اللازمة ، وقد يعود هذا التقصير الى عدة عوامل ، مثل : ضعف التأطير الأكاديمي لبحوث الإعلام ، وعدم توفر الخبرات الكافية من حيث الكم والكيف ، وندرة الاهتمام بالبحث التطبيقي في مجال الاعلام بسبب النظرة الوظيفية - الادارية الضيقة المهيمنة على الاعلام والسياسات الاعلامية في العالم العربي .

II مناهج بحوث الإعلام :

إن علاقة التبعية والتكامل بين علوم الاعلام والاتصال . وبقية العلوم الاجتماعية والإنسانية تظهر بشكل أكثر وضوحاً في المناهج والأدوات والأساليب البحثية المستخدمة في كليهما . حيث يلاحظ مما سبق أن إخضاع دراسة الظاهرة الاعلامية لمعايير المنهج العلمي جاء متأخراً كثيراً بالمقارنة مع بقية فروع العلوم الاجتماعية . حيث يتبين مثلاً أن بعض البحوث التي أنجزت سواء في أوروبا أو أمريكا قبل الحرب العالمية الثانية كانت جزئية ، وذات أهداف جد محدودة . فقد تمحور جل اهتمامها حول المضمون السياسي والدعائي . ولذلك فإن الطرح الأكاديمي والعلمي لقضايا الاعلام . ومختلف عناصر العملية الاتصالية إنما ولد وبشكل تدريجي . بعد الحرب

العالمية الثانية . وهو ما يبين ويفسر الصعوبة والمرحلية في تكييف واستخدام المناهج المعروفة ، خاصة منها المناهج الكيفية ، في الدراسات الإعلامية .
وتشير الدراسات المسحية لمناهج بحوث الاعلام ، وكذلك مؤلفات المهتمين والمختصين في هذا المجال الى أن أهم تلك المناهج يتمثل فيما يلي :

- 1 - منهج المسح
- 2 - منهج دراسة العلاقات المتبادلة
- 3 - منهج الدراسات التتبعية أو التطورية
- 4 - المنهج التجريبي
- 5 - المنهج التاريخي (الاستردادي ، أو الوثائقي)
- 6 - المنهج المقارن
- 7 - منهج «التحويل»⁽²⁷⁾ .

يلاحظ من هذا التصنيف أن الدكتور - سمير محمد حسين - يعتبر «دراسة الحالة» ليست منهجاً أساسياً قائماً بذاته ، وإنما هي جزء من منهج «دراسة العلاقات المتبادلة» ، شأنها في ذلك شأن الدراسات السببية المقارنة ، والدراسات الارتباطية . كما يؤكد أيضاً أن «تحليل المضمون» ليس منهجاً مستقلاً بذاته وإنما هو مجرد أداة أو أسلوب من الأساليب التي تستخدم ضمن منهج المسح⁽²⁸⁾ .

وفي مقابل هذا التصنيف يذكر محمد عبد الحميد ، أن المناهج الأساسية في بحوث الصحافة هي : المنهج التاريخي - منهج المسح - المنهج التجريبي . أما بالنسبة لـ : دراسة الحالة ، وتحليل المضمون فلا يحدد رأيه فيها بوضوح : هل يصنفان ضمن قائمة المناهج الأساسية لبحوث الاعلام ، أم هما مجرد أداتين من أدوات منهج المسح الإعلامي⁽²⁹⁾ .

غير أن انشراح الشال من جهتها تحسم هذه القضية الخلافية في مناهج بحوث الاعلام ، حيث تؤكد التصنيف السابق لسمير حسين ، فيما يتعلق بتحليل المضمون ودراسة الحالة «بالنسبة لتحليل المضمون الذي يرفع الى مصاف مناهج البحث في بعض الكتابات ، وقد يرجع ذلك الى أهمية النتائج التي يتوصل إليها الباحثون الذين يعتمدون على تحليل المضمون ، أو على دراسة الحالة ، وتبهرهم النتائج التي يتوصلون إليها بواسطتها ، ولكن بالرجوع الى مفهوم المنهج نرى أن دراسة الحالة مثلها مثل

تحليل المضمون لا يمكن أن ترقى الى مستوى المنهج ... بل هي «أساليب» يمكن الاستعانة بها في اطار مناهج محددة⁽³⁰⁾.

وتجدر الإشارة هنا الى أن مناهج البحث العلمي بصفة عامة ، بالنسبة للباحثة ، متعددة على سبيل المحصر بخمسة مناهج ، وهي : منهج التأمل الاستدلالي - المنهج التجريبي - منهج الاسترداد التاريخي - المنهج الوصفي - المنهج الجدلي⁽³¹⁾.

ان حجج القائلين بأن «تحليل المضمون أو تحليل المحتوى» منهج قائم بذاته ينبع في الأساس من أنه يستند الى الاجراءات والخطوات العلمية مثل : تحديد المشكلة ، صياغة الفروض ، اختيار العينة . غير أنه اذا اقتصرنا على مثل تلك المعايير أو الشروط والاجراءات ، فانه سيكون بإمكاننا عندئذ أن نطلق أيضاً مصطلح المنهج على كل الأساليب والأدوات الأخرى المتبعة في جمع البيانات والمعلومات مثل : المقابلة - الملاحظة - الاستبيان . وذلك لأن لكل منها اجراءاته وخطواته العلمية ، ولهذا فان «تحليل المحتوى لا يستطيع أن ينهض منفرداً لبحث كامل . فلا بد له من الاستعانة بمجموعة أخرى من الاجراءات التي تنتمي لمناهج البحث العلمي . تحليل المحتوى اذن ليس منهجاً علمياً ، وانما هو أداة لها في كل منهج علمي موقع»⁽³²⁾.

ويتبين من التحليل النقدي المقارن للابحاث العلمية الاعلامية المتقدمة (أطروحات الماجستير والدكتوراه) وكتابات كبار المختصين في مناهج البحث الاعلامي في العالم العربي ، أمثال : سمير محمد حسين ، عواطف عبد الرحمن ، نادية سالم ، ليلي عبد المجيد ، أن القضية الخلافية المتعددة بالتكليف المنهجي لـ : «تحليل المضمون» قد حسمت لدى الأغلبية الساحقة من الباحثين العرب ، باعتباره مجرد أسلوب علمي يستخدم لجمع البيانات والمعلومات في اطار منهج عام وأساسي ، وهو : منهج المسح . وفي نفس الاطار يلاحظ كذلك أن مصطلح «منهج المسح» هو الأكثر تداولاً بالمقارنة مع مصطلح (منهج الوصف) في الأبحاث الجامعية ، ومقالات الدوريات المتخصصة في بحوث الاعلام في العالم العربي .

أما بالنسبة لـ : (دراسة الحالة) وتطبيقاتها في بحوث الإعلام والاتصال ، فانه يلاحظ ان الفئة القليلة من الباحثين العرب الذين وظفوها في دراساتهم قد اعتبروها منهجاً علمياً قائماً بذاته ، وقد تباينت الاجتهادات المنهجية بهذا الخصوص ، نظراً

لعدم وجود تصميم منهجي واضح ، أو نموذج متكامل يمكن أن يحتذى به عند تكييف «دراسة الحالة» مع طبيعة وخصوصيات مجالات بحوث الاعلام .

أما (منهج التحويل) الذي ضمنه سمير حسين تصنيفه العام لأهم مناهج بحوث الاعلام ، فهو ينبني على «قاعدة أن الفكرة الرئيسية التي يدور حولها البحث في علم معين ... يمكن أن تستمد من تطبيق أو نقل قاعدة أو طريقة فنية جديدة ابتكرت في علم أو في ميدان آخر ، أي أن منهج التحويل يؤكد من جهة على أن كل تقدم علمي يرتكز على أساس من المعرفة السابقة ، ويسعى من جهة أخرى الى تهيئة هذه المعارف السابقة في المجالات العلمية المختلفة لكي تلائم مجموعة أخرى من الظروف في العلوم الأخرى»⁽³³⁾ .

وإذا كان بعض الباحثين قد يسعى لتطبيق ذلك ضمناً في اطار ما يعرف بمصطلح «التكامل المنهجي» في بحوث الاعلام ، فان مصطلح (منهج التحويل) يحدد ذاته لم يتم تداوله أو استخدامه من قبل الباحثين العرب سواء في الأبحاث الأكاديمية الجامعية ، أو مقالات الدوريات المتخصصة .

منهج المسح (Survey Method) :

يعد من أهم وأكثر المناهج العلمية المستخدمة في بحوث الإعلام والاتصال . وهو يهدف الى تسجيل وتحليل وتفسير مختلف معطيات الظاهرة الاعلامية المدروسة . وهناك عدة تقسيمات فرعية لمنهج المسح الإعلامي ، ومنها :

٢ - المسح الوصفي (Discriptive Survey) :

وهو ذلك النوع من الدراسات التي تقتصر على جمع وتوثيق مجموعة من الحقائق مثل : تلك الدراسات التي تتعلق بمعرفة خصائص قراء جريدة معينة ، ولتكن «الشعب» مثلاً من نواحي : من يقرأ ؟ من لا يقرأ ؟ الموضوعات المفضلة للقراء ، أوقات القراءة ... إلخ .

إن المسح الوصفي لا يتجاوز اذن حدود ذكر الخصائص والسمات العامة لمجتمع البحث في صورة أرقام أو معطيات كمية عامة . وتوجد عدة تقسيمات ثانوية للمسح الوصفي ، أهمها :

أ - المسح العارض (المسح غير المقارن) : يتحدد هدفه بوصف خصائص وسمات الظاهرة المدروسة ، باستخدام بعض المقاييس الاحصائية مثل : التكرارات ، والنسب المئوية .

ب - المسح الدوري (التكرار) : يهدف الى وصف التغير الحاصل في خصائص مجتمع البحث ابان فترات زمنية متعاقبة ، قصد التعرف على ماذا حدث من تغير في تلك السمات أو الخصائص بالمقارنة مع تغير الفترات الزمنية التي أجري فيها .

2 - الوصف التحليلي (التفسيري ، الاستدلالي) (Analytical Survey) :

لا يتوقف هدفه عند حد جمع البيانات والوصف للظاهرة وإنما يتجاوزها بالشرح والتفسير للخلفيات والأسباب الكامنة وراء الظاهرة الاعلامية المدروسة . وعادة ما يتم اجراء هذا النوع من المسح التحليلي عند الرغبة في اختبار العلاقات بين المتغيرات مثل : أسباب التغير بالإغخفاض أو الإرتفاع في حجم المرتجعات لصحيفة معينة ، أو المفاضلة بين قناة تلفزيونية وأخرى . فالمسح التحليلي يسعى للإجابة عن السؤال : لماذا ؟ .

وهناك عدة تقسيمات ثانوية لهذا النوع من المسح ، وهي :

أ - مسح اختبارات الجماعات (العينات المقارنة) : حيث تم المقارنة بين أكثر من متغير كمقارنة أنماط القراءة للصحف بين عينتين احدهما من سكان الريف والأخرى من سكان المدن .

ب - مسح الاختبارات التتبعية للعينات : ويتم ذلك بغرض معرفة نتائج المتغير أو المثير الجديد على نفس العينة . حيث يقوم الباحث مثلاً باختبار عينتين من قراء جريدتي (الحبر) و(الوطن) الجزائريتين ، ويدرس اتجاهاتهم وآرائهم نحو اخراج الصفحة الأولى في كلتا الجريدتين . وبعد فترة عام يحدث تغييراً في شكل اخراج نفس الصفحة من الجريدتين ثم يجري بعدها دراسة مقارنة مرة أخرى باختبار نفس عينة جمهور القراء .

وتتعدد المجالات التطبيقية للدراسات الإعلامية التي تستخدم منهج المسح ، حيث يحرصها سمير حسين فيما يلي⁽³⁴⁾ :

أولاً : مسح الرأي العام : يهدف التعرف على الآراء والمعتقدات والدوافع والقيم ، ونوعية الجمهور ... إلخ .

ثانياً : مسح المضمون الإعلامي : من خلال القيام بتحليل محتوى وسائل الإعلام من الجوانب المختلفة - الموضوعات - مصادر المادة المنشورة - اتجاهات المضمون الاعلامي ... إلخ .

ثالثاً : مسح جمهور وسائل الاعلام : ويتناول ذلك من خلال عدة فئات مثل : السن ، الجنس ، درجة التعليم ، المهنة ، أنماط وعادات المشاهدة والاستماع أو القراءة درجة الاشباع والمفاضلة .

رابعاً : مسح وسائل الاعلام : يهدف هذا النوع من المسح الى التعرف على شخصية الوسيلة الاعلامية من عدة جوانب ، مثل : أرقام التوزيع والانتشار ، التطور التاريخي للوسيلة ، حجم التوطين الجغرافي ، حجم جمهور الوسيلة .

خامساً : مسح أساليب الممارسة : يستخدم بغرض التعرف على الوضع العام السائد داخل المؤسسة الإعلامية من خلال الحصول على المعطيات المتعلقة مثلاً : بالجوانب التنظيمية والادارية والقانونية ، وأساليب اتخاذ القرارات في المؤسسات الاعلامية ، بالإضافة الى المشاكل التي تعاني منها ، وفئات العاملين بالمؤسسة ، ومستويات تأهيلهم ، وأهداف المؤسسة ... إلخ .

III المناهج والأساليب الكيفية في بحوث الإعلام :

لقد أدى التقييم العام للتراكم المعرفي في مجال بحوث الإعلام والإتصال على مدى فترة الثلاثين سنة بعد الحرب العالمية الثانية الى اكتشاف جوانب عديدة من النقص والقصور المنهجي في كل من المنهجين التقليديين : التاريخي ، والمسخي . وهو ما دفع بعدد من الباحثين ، خاصة في كل من فرنسا ، وأمريكا وألمانيا ، والاتحاد السوفياتي (سابقاً) الى البحث عن المناهج والأساليب المنهجية الأخرى المستخدمة في بقية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، في محاولة لتكييفها ما أمكن مع خصوصيات موضوعات البحوث الإعلامية ، والاستفادة منها - حتى ولو كان ذلك بشكل جزئي - لإضفاء المزيد من العلمية والدقة على تلك البحوث . وتذكر الدكتور عواطف عبد الرحمن بهذا الشأن ما يلي :

1 - منهج تحليل المنطوق : (التحليل التوزيعي) (Analyses des énoncés) : وضع أسس هذا المنهج عالم اللغة الأمريكي (Z. HARRIS) هاريس . وهو يهدف

الى تحليل دلالات الاشارات والرموز التي تكون لغة معينة . كما ساهم العالم الفرنسي (J. DUBOIS) دوبا في تطوير هذا المنهج بإدخاله عليه لبعض التعديلات كي يصبح متكيفاً أكثر مع النصوص اللغوية الأخرى ، خاصة منها نصوص الخطاب السياسي . ويتم تطبيق هذا المنهج في الواقع العملي بتقسيم النص الى عدة مقاطع وجمل نحوية بسيطة ثم تقارن ببعضها البعض . غير أن هذه العملية تتطلب وقتاً كبيراً . كما أن هذا المنهج بشكل عام يعطي الأولوية للجوانب النحوية في الجملة والنص .

2 - منهج تحليل القوى الفاعلة (Analyses des Actantielles) :

ساهم في وضع أسس هذا المنهج عدة باحثين ، وفي مقدمتهم : بروب (V. PROPP) وهو من رواد المدرسة الشكلانية الروسية ، وكذلك غريماس (A.J. GREIMAS) الذي يعد من بين أبرز المتخصصين في علم الدلالة .

يتم تطبيق هذا المنهج بتحديد القوى الفاعلة في النص ، ثم الأفعال المنسوبة لها ، وصفات هذه القوى وفئاتها (الايجابية والسلبية) ، والأدوار الموكلة لهذه القوى كما هي واردة من خلال النص⁽³⁵⁾ .

إن مثل هذا المنهج عادة ما يستخدم في الدراسات الأدبية (القصة ، والتراجيح) . أما توظيفه في تحليل النص الصحفي فقد يفيد بشكل جزئي في اعطاء دلالات اضافية بالنسبة لفئة الفاعل (Acteur) في اطار أسلوب تحليل المضمون . كما أنه يفيد الى حد ما في التحليل المفهومي للخطاب السياسي . وذلك لأن توظيفه يحدد بدراسة ما يعرف بالفاعل أو الشخصية المحورية لنص ما ، وسماها والأدوار المسندة لها .

3 - منهج تحليل حقول الدلالة (المفاهيم) (Analyse des Champs Sémantiques) :

برز استخدام هذا المنهج بعد نشر مجموع الأبحاث والدراسات من قبل مركز الأبحاث الفرنسي في سان كلو بياريس . ويلاحظ أنه قد وضع ، وطبق أصلاً في الدراسات السياسية التي تناولت بالتحليل عدداً من خطب القادة السياسيين الفرنسيين .

ينطلق هذا المنهج من مبدأ أساسي يتمثل في أن أي مفهوم في أي نص كان ليست له أية دلالة حقيقية إلا من خلال مقارنته ببقية المفردات أو الكلمات والمفاهيم الأخرى المجاورة له في النص ، سواء كان موقعه ضمن الجملة أو الفقرة أو النص ككل . إن الخطاب الصحفي منتج عقلي . وهو كغيره من أشكال الإتصال «مصدر صريح

للمعلومات (ما الذي ينشده الكاتب من الإتصال) ... فكاتب الخطاب انما ينقل للآخر شيئاً عن نفسه»⁽³⁶⁾ .

ويتم هذا النقل والتبليغ في الصحافة المكتوبة بواسطة منظومة الإشارات اللغوية . خاصة منها المفاهيم والشعارات ، حيث «تلاعب الكلمة في مجال السياسة الداخلية والخارجية دوراً رئيسياً هاماً يتخطى حدود التحايل نفسه (Manipulation) الى تضليل الجماهير وخداعها ، أو تعبئتها للقيام بأعمال جماعية يصعب على أحد التصدي لها بمفرده .. وإن أغلب الكلمات السياسية تحتوي على أدنى حد من المعلومات الموضوعية عن الحقيقة ، وعلى أعلى حد من الآثار الإنفعالية المباشرة أو غير المباشرة بمعنى أنها نداء للمشاعر والعواطف»⁽³⁷⁾ .

ويقول عمر الخطيب من جهته : «إن ساحة الصحافة هي التي تسفر فيها معارك الدعاية عن النصر أو الهزيمة . وفي هذه الساحة تعدد المصطلحات من أمضى الأسلحة»⁽³⁸⁾ .

وتذهب الباحثة نادية سالم في نفس الاتجاه حيث تذكر بأن الدعاية تتميز بكونها تتوجه بالدرجة الأولى الى جمهور صغير نسبياً بأفكار ونظريات تحتاج الى مزيد من الشرح والتوضيح ، بينما يتوجه التحريض - الذي هو نشاط سياسي أيضاً - الى جمهور كبير مستخدماً في ذلك الشعارات والمقولات العامة . وكلاهما أداة من أدوات الصراع الطبقي ، ويعتمدان على وسائل الاعلام المختلفة مثل الصحف والإذاعة⁽³⁹⁾ .

وترتبط قوة الكلمات والمفاهيم اللغوية المركبة بالصور المختلفة التي تثيرها في الذهن «والكلمات التي يصعب تحديد معانيها بشكل دقيق هي التي تمتلك أحياناً أكبر قدرة على التأثير والفعل .. مثلاً الكلمات التالية : ديمقراطية ، اشتراكية ، مساواة ، حرية .. فعانيها من الغموض . بحيث أننا نحتاج الى مجلدات ضخمة لشرحها ، ومع ذلك فإن حروفها تمتلك قوة سحرية بالفعل ، كما لو أنها تحتوي على حل لكل المشاكل»⁽⁴⁰⁾ .

وتملك المحاجات العقلانية لتلك الكلمات والشعارات قوة لا يمكن مقاومتها ، حيث ما «إن تلفظ بنوع من الخشوع أمام الجماهير ، حتى تعلو آيات الاحترام على الوجوه وتنحني الجباه لها . والكثيرون يعتبرونها بمثابة قوة من قوى الطبيعة أو قوى خارقة للطبيعة»⁽⁴¹⁾ .

ويمكن لنا أن نتصور في هذا المجال مدى عمق التأثير الذي كانت تحدثه التعبيرات

اللغوية خلال فترة الستينيات في الجزائر ، مثل (الثورة ، الشهداء ، ثورة أول نوفمبر ، الثورة من الشعب إلى الشعب . وكذلك المجلة الشهيرة التي وردت في مقدمة القرار الذي أعلنه هواري بومدين يوم 1971/2/24 والخاص بتأميم البترول وهي «قَرَرْنَا وَنَزِيدُوْهُنَّ قَرَرُوْا...» ، وفي نفس السياق يمكن أن نلاحظ أيضاً مدى تأثير المفاهيم القومية في الخطاب الناصري ، على مستوى كامل المنطقة العربية مثل (العروبة ، الثورة العربية ، إزالة آثار العدوان) .

وتزداد أهمية الرموز اللغوية قوة وتأثيراً في إطار العملية الإعلامية ، كلما كان لتلك الرموز مقابل أو مدلول في الواقع الاجتماعي اليومي للجماهير . فاللغة هي الوعاء المادي للفكرة . ويتم دراسة تلك المدلولات ضمن ما يعرف بعلم الدلالة .

ويثير موضوع دراسة معاني أو دلالات المفاهيم اللغوية عدة اشكالات منهجية سواء في إطار تحليل المضمون أو في علم اللغة ، وتظهر هذه الاشكالات في الاختلاف على وجه الخصوص حول تحديد الجوانب التي يتم من خلالها دراسة المدلولات اللغوية . وكذلك تصنيف تلك المدلولات في حد ذاتها . فقد ذهب بعض الباحثين الى تحديد تلك الجوانب بما يلي :

1 - العلاقة التي يقيمها المدلول مع الأشياء التي يرمز إليها أي معطيات العالم الخارجي .

2 - العلاقة التي يقيمها مع بقية المدلولات من نفس الدرجة .

3 - العلاقة التي يقيمها المدلول الأساسي مع المدلولات الثانوية .

ويضيف بيار غيرو (P. GUIRAUD) الى ذلك بأن للكلمة أكثر من معنى : تصريح ، وآخر ايمائي ، بسبب تلك التدايمات التي يمكن أن تحدثها أثناء الاستعمال .

وحظيت كذلك قضية تصنيف المدلولات بأبحاث عديدة ، غير أنها ما تزال في طور التكوين ، وتعتمد على عدة طرق أهمها :

1 - الطريقة الشكلية : التي تعتمد على الجذر (المصدر) الاشتقائي الأصلي للكلمة مثل (عَلَّمَ ، يَعْلَمُ ... إلخ) .

2 - الطريقة السياقية : تعتمد على المعدل الوسطي لمجموع استعمالات الكلمة . وهي لا تفهم إلا من خلال السياق الذي ترد فيه . ولا يتحدد معناها الأخير إلا من خلال

احصاء مجموع هذه السياقات ، وبتعبير آخر تتلخص هذه الطريقة في القول بأن الكلمات ليست لها معاني وإنما استعمالات .

3 - الطريقة الموضوعية : وتعتمد على الموقف الإدراكي . فعنى الكلمات المستعملة يتحدد تبعاً للموقع الذي يكون فيه قائلها والموقف الذي يتخذه سامعها عند سماعها . وهي لذلك تركز على الملفوظات أو المجموعات فقط من الكلمات .

4 - طريقة الحقول الدلالية : وهي أحدث طريقة في علم الدلالة ، وتعتمد على تصنيف المدلولات في حقول مفهومة ، ألفها الفكر البشري سواء المبنية على القرابة المعنوية أو الترادف والتأثيل (عامل - شغيل - كادح) . أو مبنية على التضاد (ذكر/أنثى) ، أو مبنية على معيار الأكبر والأصغر (زهرة/وردة) ، أو علاقة التدرج (رضيع - طفل - شاب - رجل) أو النسبية (علم ، عرف ، تقدم⁽⁴²⁾) . وطبقت بالفعل طريقة دراسة الحقول الدلالية للمفاهيم . من طرف بعض الباحثين العرب ، وذلك وفق ثلاث مستويات مترابطة فيما بينها . حيث صنفت جميع مدلولات النص على النحو التالي :

- المدلولات المشاركة (Assosiations) : وهي تلك المفردات المجاورة للمفهوم المركزي والتي لا تتناقض معه .

- المفردات المناقضة (Oppositions) : وهي عكس سابقتها وتلعب دوراً سلبياً .

- الصفات (Qualifications) : وتمثل في الصفات والنعوت وكل ما يشير إلى مواصفات المدلول المركزي موضع الدراسة⁽⁴³⁾ .

إلا أنه يلاحظ أن جميع الطرق السابقة إنما نشأت وتعد جزءاً من المناهج الغربية في العلوم الاجتماعية ، وجرى تطبيقها على بنية الجملة في اللغات الأخرى غير العربية .

ولذلك تشير الباحثة نادية سالم إلى ضرورة أن يأخذ الباحثون العرب عند تحليلهم لمضمون الرسالة الإعلامية ، خصوصيات بنية الجملة في اللغة العربية والعلاقة التي تربط بين مفردات اللغة ونظام المعاني . وكيف يتم تحديد معاني المفاهيم في النص الصحفي العربي :

هل بالتركيز على دلالة الألفاظ المفردة خارج السياق ؟ أم في إطار السياق اللغوي ؟ أم دراسة معاني الجمل ؟ أم في الإطار اللغوي المحض ؟ أم في إطار السياق

اللغوي ؟ وماذا عن المعنى الاجتماعي للجملة ؟ أو المعنى الحضاري ؟⁽⁴⁴⁾ .

ويضيف مصطفى علوي الى ذلك أشكالاً أخرى تتعلق بالقياس الكمي لتحليل الادراك . حيث نجد في هذا المجال مشكلة بناء مقياس لتحليل المحتوى اللغوي للنصوص السياسية المكتوبة باللغة العربية . ذلك لأن للجملة العربية تراكيب لغوية خاصة بها . وتحدد درجة شدتها وقوتها في التعبير عن المعنى . وهو يقترح تحديد المعايير الخاصة ببنية الجملة العربية في هذا النوع من الدراسات على النحو التالي :

1 - أنماط الجملة العربية : تقريرية - شرطية - احتمالية ، أي مرتبطة قد يحدث وقد لا يحدث .

2 - اليقين والشك في الجملة العربية : أي درجة التوكيد فيناك جملة بسيطة غير مؤكدة ، وجملة مؤكدة بعنصر واحد ، وجملة مؤكدة بأكثر من عنصر .

3 - عامل الزمن : الفعل هل يقع في الزمن : الماضي ، الحاضر ، المستقبل⁽⁴⁵⁾ .

ان دراسة الحقول الدلالية (دراسة دلالة الرموز اللغوية) تعد جزءاً من علم الدلالة (Semantic) الذي يهتم بدراسة نظرية المعنى . فالتحليل الدلالي يتناول الشروط الواجب توافرها في الرمز أو المفهوم اللغوي الموظف في النص لكي يصبح قادراً على حمل المعنى المطلوب⁽⁴⁶⁾ . وذلك لوجود عدة أنواع من المعاني التي يمكن أن تتضمنها هذه الكلمة أو تلك ، والتي من بينها ما يلي :

1 - الدلالة (المعنى) الأساسية أو المركزية : ويطلق عليها البعض أيضاً المعنى المفهومي أو التصوري (Conceptual Meaning) أو الإدراكي (Cognitive) أو المعنى الصريح . وهو يفيد في استنتاج المضمون المباشر للكلمة مما يساهم في التفاهم وتبادل الأفكار والآراء والمعلومات والأخبار بين الناس .

2 - المعنى الثانوي أو العرضي أو الضمني : وهو غير ثابت بل كثيراً ما يعتريه التغير نتيجة عدة عوامل منها : تغير الزمن والثقافات ، والخبرة المكتسبة . فكلمة «أشعب» بالاضافة لدلالاتها على شخص محدد ، لها دلالة اضافية أخرى وهي : قلة البخل ، وكذلك الأمر بالنسبة مثلاً لكلمة : «يهودي» ، فمفهومها المباشر يشير الى ديانة محددة ومعروفة . أما دلالتها الإضافية فتسحب على كل من : البخل ، المكر ، الخداع ، حب الاكتناز بقوة .

3 - المعنى الأسلوبي : وهو يساعد في معرفة المفردات التي استخدمها كاتب النص من عدة جوانب مثل : الموطن ، الطبقة الاجتماعية ، الشخصية ، التخصص ، رتبة اللغة المستخدمة .

4 - المعنى النفسي (الانفعالي) .

5 - المعنى الإنعكاسي : وذلك بتوظيف الكلمة في سياق دلالي مضاد لمعناها الأصلي .

6 - المعنى الترتيبي أو التنظيمي أو التدريجي : مثل كلمتي ، شجاع ، ومقدام .

7 - المعنى المرتبط ببنية الجملة : ويختلف مثلاً فيما إذا كانت الجملة مبنية للمعلوم أو المجهول وموقع الكلمات المهمة فيها ، وأنواع التوكيد .

ان التحليل الدلالي الذي ظهر تحت تأثير البنيوية (STRUCTURALISM) يقدم لنا نماذج أخرى من الأساليب المنهجية في تحليل النص ومنها : تحليل السياق أو نظرية السياق .

تحليل السياق :

يرى أصحاب هذه النظرية أن دراسة المعاني ودلالات الكلمات تتوقف أيضاً على السياق والمواقف التي ترد أو تستعمل فيها تلك الكلمات ، وبالتالي فإنه لا يمكن التوصل الى اكتشاف كل معانيها دون الرجوع الى السياق الخاص بها . وأهم تلك السياقات هي :

1 - السياق اللغوي البحث (linguistic context) .

2 - السياق العاطفي أو الانفعالي (emotional context) .

3 - السياق الموقف (situational context) .

4 - السياق الثقافي (culturel context) . والذي يتأثر بالأطر الثقافية

المرجعية⁽⁴⁷⁾ .

ويلاحظ أن التطبيقات العملية والجهد النظيري في مجال التحليل الدلالي للنص الصحفي العربي نادرة جداً سواء على مستوى الباحثين أو مراكز الأبحاث الإعلامية العربية ، وذلك بالرغم من أهمية التحليل الدلالي في دراسة «عنصر الرسالة في العملية

الصحفية»⁽⁴⁸⁾ . بهدف معرفة لغة الاتصال ودلالاتها المختلفة ، والاستدلال على السمات والوظائف المستهدفة ، ونوايا القائم بالاتصال وتأثيرات الاتصال .

أسلوب احصاء المفردات (lexicometrie) :

يعتمد على التكيم من حيث المبدأ . ولذلك فهو من هذا الجانب شبيه بأسلوب تحليل المضمون غير أنه يلاحظ أن أسلوب احصاء المفردات لا ينطلق من مجموعة أهداف أو فئات أو فروض وتساؤلات يراد اجراء البحث بشأنها مسبقاً ، بل يعتمد على احصاء شامل للمفردات الواردة في النص ، بغض النظر عن طبيعتها (كلمات ، حروف ، صفات ، أفعال) ، وعادة ما يستخدم في ذلك العقل الالكتروني وبعد ذلك يتم اعادة ترتيب مفردات النص في صورة جداول مختلفة بحيث يتم التعرف على التكرارات الخاصة لكل فئة في كل جدول . وهو ما يشير الى أن مثل هذا الأسلوب صالح في الدراسات الأولية أو الاستكشافية الهادفة الى التعرف على الخصائص الكمية للمكونات اللغوية وللنص المدروس ، من حيث مثلاً المفردات الأساسية للنص ومدى تكرارها ، وطبيعتها أو نوعها ، وكل ذلك بشكل معزول ، أي خارج سياقاتها . ولذلك فإن استخدامه في الدراسات الإعلامية قد يفيد ولكن بشكل جزئي ومحدود ، بهدف التعرف مثلاً على لغة الرسالة الإعلامية في حقبة زمنية معينة أو لدى كاتب من الكتاب . وهو ما يسهل بالتالي طرح الفروض والتساؤلات في البحوث اللغوية للموضوعات الصحفية .

المقاربات المنهجية :

تطلق عبارة مقاربة منهجية (Approche Méthodologique) على تلك المحاولات في المنهج التي لم ترق الى مستوى منهج علمي مكتمل مستقل بذاته . ويشور خلاف بين الباحثين والمؤلفين العرب في علم مناهج البحث حول الترجمة العربية الأنسب لمصطلح لهذا . حيث هناك من يطلق عليها «مدخل» بدل المحاولة أو المقاربة . ونجد من بين ذلك مثلاً «دراسة الحالة» . فهي عند سمير حسين منهج فرعي من بين التصنيفات الفرعية الخاصة بمنهج العلاقات المتبادلة ، في حين يصنفها أحمد بدر كمنهج علمي قائم بذاته . واكتفى آخرون بتصنيفها كشكل من أشكال التحليل

الكيمي . وذهب البعض الآخر الى القول بأنها (مدخل) لدراسة الموضوعات الحساسة⁽⁴⁹⁾ .

ويلاحظ أن المقاربات المنهجية وتطبيقاتها ضمن بحوث الاعلام قليلة ، خاصة في العالم العربي ، ويمكن ذكر أهمها فيما يلي :

التحليل الأسلوبي (Stylistic Analysis) :

إن الدراسة الأسلوبية للنص الصحفي مستعارة في الأصل من الدراسات الأدبية . كما أن الأسلوبية (stylistic) هي «محاولة في المنهج وليست علماً مكتملاً» . ويمكن أن يستفاد من تطبيقاتها العملية في بحوث الاعلام في الدراسات التي تتناول كلا من عنصري : الرسالة والمرسل مع مراعات خصائص النص الصحفي . ويستهدف التحليل الأسلوبي التعرف على تفسير الاختيارات اللغوية المختلفة في النص مثل : الكلمات ، البنية ، التركيز ، الاسهاب ، الصيغ الأسلوبية ، الرموز الفنية للكتاب والصحفيين . وتعتبر المقارنة هي جوهر التحليل الأسلوبي⁽⁵⁰⁾ . ويتفق التحليل الأسلوبي مع تحليل المضمون ، في كونه يعتمد على البعد الاحصائي في تشخيص الأساليب بشكل موضوعي . كما أنه قد يكون وصفيّاً أو استدلالياً⁽⁵¹⁾ .

تحليل الحقول المرجعية (Analyse des champ référentiels) :

يعد كل من تحليل الحقول المرجعية ، وممار البرهنة مقاربتين منهجيتين ، حيث «لا تزال تطبيقاتها النظرية والعملية نادرة»⁽⁵²⁾ . وقد حققت بعض الدراسات الصحفية تقدماً في هذا الاتجاه في الدول الغربية منذ السبعينيات ، ولكن هذا الاتجاه ما يزال في مرحلته الجنينية في الدراسات الصحفية العربية⁽⁵³⁾ . ويتبين أيضاً أن دراسة الحقول المرجعية للنص . تدخل ضمن الأساليب المنهجية المستوحاة من الألسنية (linguistique) . وهي تستهدف «دراسة النص . وتنوع هذه الأطر المرجعية ما بين اسماء علم . مواقع جغرافية أو تاريخية حقب تاريخية معينة أو دلالات مرجعية دينية»⁽⁵⁴⁾ .

غير أنه يبدو في الواقع ومن خلال المقارنة مع أسس نظرية البرهان ، إن دراسة

المصادر المرجعية . سواء بغرض التعرف عليها بمحد ذاتها أو بهدف معرفة شبكة العلاقات الدلالية التي تربطها بالسياق العام للنص . يمكن تصنيفها كجزء من نظرية البرهان وعلم المنطق بشكل عام . والذي يرتبط هو الآخر بشكل قوي بعلم الدلالة (Semiologie) ومنهج احصاء المفردات (lexicometrie) الذي قام بتطويره مركز الأبحاث سان كلود (Saint Cloud) بفرنسا .

وقد استخدمت الباحثة مارلين نصر هذه «المقاربة» كدلالة على الأسلوب الذي تم بواسطته دراسة الحقول المرجعية . في الخطاب السياسي الناصري . وتتكون من كل المراجع الواردة في النص . وهي على نوعين : أسماء العلم مثل : الافغاني ، أمريكا ، الميثاق الوطني ، الجامعة العربية ، والمراجع الأخرى مثل : الاستشهاد بالتاريخ القديم والحديث والمعاصر⁽⁵⁴⁾ .

كما تم أيضاً تطبيق هذه المقاربة المنهجية على النص الصحفي في بعض الدراسات الإعلامية العربية في محاولة للتأصيل المنهجي واستخلاص بعض العناصر والأسس الخاصة بدراسة المصادر المرجعية في المقال العمودي وذلك على ضوء الأهداف العامة للبحث .

واعتمد الباحث في تصنيف مصادر الحقل المرجعي في المقال العمودي (Sources du Champ Référentiels) على ثلاث فئات رئيسية هي :

- 1 - المصادر المرجعية العامة .
 - 2 - النصوص .
 - 3 - المفاهيم الرئيسية .
- وتتكون فئة المصادر المرجعية العامة من تسع (9) فئات فرعية هي :
- 1 - شخصية رسمية
 - 2 - المؤسسات والمنظمات
 - 3 - نظام سياسي
 - 4 - شعب ، أمة ، أقلية
 - 5 - حزب
 - 6 - حركة تحرر وطني
 - 7 - أماكن جغرافية

8 - تاريخ

9 - دين .

وتجدر الإشارة هنا الى أن الاستخدام الاجرائي للفئة الرابعة (أمة ، شعب ، أقلية) يقصد به الجنس البشري والمواقع الجغرافية لتواجده . وقد اعتمد في استخراج وتصنيفه انطلاقاً من السياق العام للنص .

كما طبق نفس المعيار أيضاً للتمييز بين الفئة الثالثة (نظام سياسي) والفئة السابعة (أماكن جغرافية) . حيث مثلاً أن ذكر : إسرائيل أو بون أو الرباط - خاصة في حالات عدم استنادها - بغرض تصنيفها ضمن إحدى الفئتين انطلاقاً من الاستخدام الرئيسي لها في سياق النص . فإذا كان الهدف من ذكرها هو مجرد الإشارة الى المنشأ الجغرافي للحدث تصنف ضمن فئة أماكن جغرافية . وفي الحالة العكسية تصنف ضمن فئة النظام السياسي⁽⁵⁵⁾ .

تحليل مسار البرهنة :

يبدو أن مارلين نصر هي أول من حاول الاستفادة من هذه الأساليب الغربية الحديثة لتجديد أساليب تحليل مضمون النصوص العربية . وطبقت ذلك على مجموعة من نصوص الخطاب السياسي الناصري ، وذلك بدراستها عبر عدة أبعاد ، منها :

1 - تحليل الحقول المرجعية .

2 - تحليل مسار البرهنة .

واعتمدت الباحثة على بعض الدراسات الفرنسية التي استهدفت تقديم نموذج نظري وتطبيقي في كيفية تحليل بنية النصوص ، والبحث عن الاشكال الجدلية والبرهانية فيها⁽⁵⁶⁾ .

وخاصة دراسة كل من ، مالديدي ، وروبين (D. MALDIDIER et R. ROBIN) . التي طبقت أصلاً على النص الصحفي . حيث يؤكدان بقولهما : «ان لكل التعاليق الصحفية بنية مشتركة حيث تستهدف في هذا المجال اثبات أطروحة أو أكثر عن طريق الاستعانة بالحجج والوقائع»⁽⁵⁷⁾ .

كما أن المقال الصحفي كشكل بلاغي ، أو خطاب برهاني يفرض التقاطاً آخر للحدث (capture de l'événement) وكذلك ترابطاً آخر للتصنيف المنطقي (taxo-logique)

خارج الإطار الزمني . وذلك لأن بنية المقال أو التعليق على وجه التحديد لا تتناول الحدث في حد ذاته . وإنما دلالات هذا الحدث (sa signification) .
ولذلك تعد دراسة (D. Mlidiier et R. Robin) من البحوث التطبيقية في المدرسة الفرنسية لبحوث الإعلام التي حاولت وضع أسس منهجية للتحليل المقارن لبنية التقرير والافتتاحية والتعليق الصحفي .
وتناولت هذه الدراسة مواقف الصحف الفرنسية من أحداث شارلتي سنة 1968 وتمثلت عينة الصحف المدروسة في أربع جرائد يومية كبرى ، تصدر في باريس وهي :

- لوفيقارو Le Figaro

- لورور L'aurore

- كومبا Combat

- ليانتي L'humanité

وكانت تلك الدراسة تستهدف التعرف على كيفية معالجة هذه الصحف الأربع لأحداث شارلتي وذلك من خلال القوالب الصحفية الثلاثة :

التقرير (Reportage) والافتتاحية والتعليق ، التي ظهرت في الصحف الأربع .
خلال يومي 29/28 من شهر مايو من عام 1968 ، واستناداً الى هذا الإطار العام ،
تمت دراسة وتحديد أشكال البرهنة ، والمواقف الايديولوجية " " " :
أحداث شارلتي وذلك باستخدام فئات التحليل التالية :

- فئة الأطروحة والجمل الدالة عليها في النص .

- فئة الحجة أو الأدلة ونوعها .

- مضمون الحجة والجمل الدالة عليها .

- المصدر المرجعي والجمل الدالة عليه في النص .

- عناصر الرصد لتطور الأحداث ونوعها .

- الإشكال (الصور الفوتوغرافية المصاحبة) .

- كيفية تبني النص وموقف الجريدة الذي يظهر أحياناً في شكل استخدام

التعابير التحريضية .

وطبق الباحثان في دراستهما تلك طريقة في تحليل بنية القوالب الصحفية الثلاثة ، تتكون من ستة مستويات :

☆ يتناول المستوى الأول أو مستوى الصفر (degré zéro) ، المثال (l'exemple) ، وهو الذي يتكون من مقطع سردي وصفي ، أو خطاب منقول موظف في سياق تعليلي ، لكي يضرب مثلاً لحكم «هنا تتبع الديمقراطية في كل حركة ، وفي كل تصرف» .

☆ وفي المستوى الثاني للانعكاسية (réflexivité) نجد المثال الوصفي الرمزي والذي يعود على مدلول ضمني . ان المقاطع الدالة على هذا النوع توحى بعض الشيء بشكل من تلك القصة المجازية الغنائية والرمزية «كم نحن الآن بعيدون عن تقاليد اليسار الجمهوري ، ورواقه المتطرفة ، وأرائكه الاشتراكية ، وصديراتهم المحترمة ، كم نحن بعيدون عن ضريح لينين ، حيث كل شيء يسير أرتالاً دون أية حياة داخلية !» ،

☆ وتأتي في المستوى الثالث الأمثلة الخلف خطابية (les illustrations métadiscursives) ، وهي تظهر في أغلب الأحيان كأحكام تتعلق بالماضي القريب أو البعيد .

☆ أما المستوى الرابع فيخص تحليلات ما وراء الخطاب (les analyses métadiscursives) ، وهي عبارة عن أحكام وأقوال للصحفي . وهذه الأحكام جديدة بأن تسمى تحاليل لأن استعمال زمن الحاضر أو زمن المستقبل التنبؤي . يطبع تلك الأحكام بطابع تعميمي ، يخرج نهج الاثبات من نطاق الحدث الدقيق . ويظهر ذلك على سبيل المثال في هذا المقطع «... ان العنصر الفاصل في هذه الأزمة الخطيرة هو البتر الذي حدث أو تضاعف بصفة مفاجئة بين الأجيال» .

☆ ويتناول المستوى الخامس ما يعرف بالأدلاءات (التعابير) العامة (le énoncés généraux) ، وهي نوع من الحكمة أو المثل (المقولة) أو التعريف اللازمي مثل التعبير المأخوذ من مقطع من مقال في جريدة «كومبا» (combat) «حيث لا يكون تواجد للشرطة ، لا توجد اثارة ..» .

☆ وفي المستوى السادس والأخير نجد ما يسمى بالتعابير الإنجازية أو التحريضية (les énoncés performatifs) .

وهي ذات طبيعة خاصة ، حيث تستهدف الانتقال من التحليل الى ضرورة

القيام بانجاز عمل ما ، في شكل دعوة صريحة للقارئ . مثل هذا المقطع «من اللائق أن نعجل بها» .

ان هذه الأنواع الست من المستويات تظهر بشكل تدريجي في المقالات لتدعيم أطروحة محددة وواضحة . وفي هذا الإطار يظهر النص كاستدلال . ومقاطع الاثباتات هي التي تتحكم في مجموعة المقاطع الأخرى المتفصلة معها . والتي تشكل في النهاية ما يعرف بالراهن .

وقد استدعي تحليل بنية النص لمعرفة أشكال البرهنة اللجوء الى تقسيم كل نص صحفي الى مجموعة مقاطع (Séquences) وذلك باستخدام عدة مقاييس (مؤشرات) تتمثل على وجه الخصوص في أدوات الربط بين المقاطع (فقرات أو أجزاء من الفقرات) التي تظهر في نسج النص مثل :

لأن - لكن - وحقا - ولهذا - لهذا الغرض - في هذا الصدد من وجهة النظر هذه . كما أخذت في الاعتبار كل العناصر البلاغية التي تبين بصفة جلية مفاصل النص ، كمدخل القضية أو الاثبات . كما استخدمت أيضاً مؤشرات أخرى كمتغيرات الزمن بالانتقال مثلاً : من الماضي الى الحاضر المضارع أو العكس ، أو من زمن الحاضر الى المستقبل . وكذلك الاشارات المطبعية التي تؤدي نفس الدور مثل النقطتين (:) والشرطة (-) .

وبذلك أمكن الحصول على اشكال البرهنة في صورة مقاطع مكونة من جملة واحدة أو مجموعة جمل . أو عنصر من الجملة .

ويقدم الباحث الأمريكي تراكيننا نيلسون (TRAQUINA NELSON) محاولة أخرى لدراسة مسار البرهنة المستتر في البرقيات الاخبارية للوكالات العالمية الغربية . وقد طبق في ذلك اختبار كشف (le test de distination) وتمييز الجانب الدعائي الذي قدمه هارولد لاسويل (Harold D. lasswell) ويتمثل في البحث عن الرموز اللغوية التي يستعملها القائم بالاتصال بهدف اثبات شرعية أطروحات معينة .

واختار الباحث في هذا المجال اختبار اتجاه ودلالات النبرة الاستدراكية التي تعبر عنها كلمة «لكن» (Mais) ، وطبقت في اطار «دراسة الحالة» على عينة من برقيات وكالة الأنباء الفرنسية ووكالة يونايتد براس الدولية الأمريكية . ووكالة رويتر الانجليزية ووكالة اسوشيتد براس الأمريكية ، وكانت هذه البرقيات تتناول الأحداث

الداخلية في البرتغال خلال الفترة من شهر مايو الى شهر نوفمبر من عام 1975 .
وقد اثبتت هذه الدراسة أن مسار البرهنة المتبع يبين عدم مصداقية ما يشاع عن
وكالات الأنباء من أنها ليست لها أية أهداف سياسية أو ايدولوجية من وراء خدماتها
الاعلامية اليومية المقدمة لزبائنها ، بل هي على العكس من ذلك ، حيث تضمن
نصوص برقياتها عدداً من المفاهيم اللغوية التي تبدو في الظاهر بسيطة ، وكأدوات
لربط . ولكنها في الواقع تؤدي غرضاً مستتراً ، مما يجعل بعض جمل أو فقرات
البرقية تبرز وجهات نظر وأحداث بشكل يدعو الى التفضيل قياساً الى بقية وقائع
الحدث الواردة في نفس البرقية⁽⁵⁹⁾ .

وانطلاقاً من هذا الفهم لطبيعة النص الصحفي خاصة قوالب الرأي . حاول محمد
شومان الاستفادة من تطبيق مقارنة مسار البرهنة ، وذلك لمعرفة تطور فكرة
القومية العربية في الصحافة المصرية . وتمثل الجانب التطبيقي لها في استخراج
الأمروحات الواردة في المقالات ، وتصنيفها تبعاً لموضوعاتها . والحجج الهادفة الى
اثبات صحة أفكارها⁽⁶⁰⁾ .

كما أن الباحث حماد إبراهيم حامد . فلم يكتف بمجرد استخراج الأمروحات
والأدلة والبراهين . وإنما سعى أيضاً الى تحديد التصورات والمعاني ، وذلك بتحليل
دلالات الألفاظ والمصطلحات⁽⁶¹⁾ .

أما بالنسبة للدراسات الاعلامية بالجزائر ، فقد تم تطبيق تحليل مسار البرهنة على
خصائص المقال العمودي في القسم الخارجي بجريدتي «الشعب» و«المجاهد» حيث أنه
يمكن تصنيفه ضمن الخطاب السياسي الصحفي . ولذلك فإنه تنطبق عليه أغلب
خصائص مناهج تحليل الخطاب بشكل عام . فهو في جوهره «يثل مادة رأى غرضها
الاقناع واحداث التأثير لدى المتلقى ، فقالات الرأي الصحفية من هذا الجانب لا
تختلف عن الخطاب السياسي أو الديني .

كما أنه عند المقارنة مع نظرية البرهان في علم المنطق (Theorie de l'argumentation)
فانه يتضح أن هذه المقاربة المنهجية (مسار البرهنة) ، تعد جزءاً أساسياً من هذه
النظرية ، ولذلك فقد تم توظيفها في الجزء الخاص بعينة القضايا الدولية وهذا في
كلتا الجريدتين في الحدود التي تسمح بها خصائص النص الصحفي وأهداف البحث .

ان تطبيق هذه المقاربة المنهجية استهدف التعرف على ما يلي :

- 1 - الأطروحات والحجج الواردة في مقالات العمود الصحفي المنشورة بالقسم الخارجي لكل من جريدتي الشعب والمجاهد .
- 2 - المناهج الاستدلالية المستخدمة .
- 3 - أشكال البرهنة والتفنيد .
- 4 - دور المصادر المرجعية في البرهنة .
- 5 - أشكال البنية التحليلية في المقال العمودي .

الهوامش

- (1) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المعجم العربي الأساسي ، تونس 1989 ، ص 1234 .
- (2) (3) (4) انشراح الشال ، اشكاليات منهج البحث العلمي ، ط1 ، القاهرة ، دار الفكر العربي 1991 ، ص 12 .
- (5) فريدريك معنوق ، منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب ، ط1 ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1985 ، ص 12 .
- (6) انشراح الشال ، المرجع السابق ، ص 14 .
- (7) طلعت همام ، سين وجيم عن مناهج البحث العلمي ، ط1 ، عمان ، مؤسسة الرسالة ، دار عمار 1984 ، ص 14 .
- (8) المرجع السابق ، ص 16 - 17 .
- (9) فريدريك معنوق ، المرجع السابق ، ص 12 .
- (10) مقدمة ابن خلدون ، ص 434 . نقلاً عن فريدريك معنوق ، المرجع السابق ، ص 71 .
- (11) فريدريك معنوق ، المرجع السابق ، ص 48 .
- (12) انشراح الشال ، ص 14 .
- (13) فريدريك معنوق ، المرجع السابق ، ص 64 .
- (14) المرجع السابق ، ص 61 .
- (15) (16) انشراح الشال ، المرجع السابق ، ص 14 .
- (17) عمار عوايدي ، منهجية العلوم القانونية والادارية ، محاضرات ، كلية الحقوق ، الجزائر 1986/1987 ، ص 21 .
- (18) انشراح الشال ، المرجع السابق ، ص 29 .
- (19) فاخر عاقل ، أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية ، بيروت دار العلم للملايين 1982 ، ص 101 .
- (20) رشدي طعيمة ، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية ، مفهومه ، أسسه ، استخداماته ، القاهرة ، دار الفكر العربي 1987 ، ص 39 .
- (21) عمار عوايدي ، المرجع السابق ، ص 6 .
- (22) رشدي طعيمة ، المرجع السابق ، ص 39 .
- (23) عمار يوحوش ، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985 ، ص 23 - 34 .
- (24) عبد الوهاب إبراهيم ، أسس البحث الاجتماعي ، ط1 ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة 1985 ، ص 38 - 66 .
- (25) انشراح الشال ، المرجع السابق ، ص 44 - 45 .

- (26) فاروق أبو زيد ، اشكالية المنهج في الدراسات الصحفية ، ندوة مشكلات المنهج في الدراسات الصحفية 22/19 أبريل 1986 ، قسم الصحافة ، كلية الاعلام ، جامعة القاهرة .
- (27) سمير محمد حسين ، الاعلام والاتصال بالجائيز والرأي العام ، القاهرة ، عالم الكتب 1984 ، ص 257 .
- (28) سمير محمد حسين ، بحوث الاعلام ، الأسس والمبادئ ، القاهرة ، عالم الكتب 1976 ، ص 129 - 134 .
- (29) محمد عبد الحميد ، بحوث الصحافة ، ط 1 ، القاهرة ، عالم الكتب 1992 ، ص 90 - 104 .
- (30) اشراج الشال ، المرجع السابق ، ص 55 .
- (31) المرجع السابق ، ص 44 .
- (32) رشدي طعيمة ، المرجع السابق ، ص 41 .
- (33) سمير حسين ، الاعلام والاتصال ، المرجع السابق ، ص 257 - 258 .
- (34) سمير حسين ، بحوث الاعلام ، المرجع السابق ، ص 129 - 139 .
- (35) عواطف عبد الرحمن وآخرون ، تحليل المضمون في الدراسات الاعلامية ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1982 ، ص 97 .
- (36) طلعت منصور ، سيكولوجية الاتصال ، مجلة عالم الفكر ، عدد 2 ، المجلد 11 ، يوليو/أغسطس ، سبتمبر 1980 ، ص 126 .
- (37) شعاعة ياسين ، التحايل : فن التأثير على الآخرين ، القاهرة دار المعارف للنشر 1992 ، ص 14 .
- (38) عمر الخطيب ، الصحافة الغربية واسطورة الموضوعية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد 1 ، المجلد 16 ، 1988 ص 208 .
- (39) نادية حسن سالم ، التحليل العلمي للمدعاية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد 2 ، المجلد 12 ، صيف 1984 ، ص 44 .
- (40) غوستاف لوبون ، سيكولوجية الجماهير ، ترجمة وتقديم هاشم صالح ، الطبعة الأولى ، بيروت دار الساقي 1991 ، ص 116 .
- (41) المرجع نفسه .
- (42) مورييس أبو ناصر ، مدخل الى علم الدلالة ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد 18/19 ، شباط/آذار 1982 ، ص 31 - 35 .
- (43) مارلين نصر ، التصور القومي في فكر جمال عبد الناصر ، 1952 - 1970 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1983 ، ص 21 - 52 .
- (44) نادية حسن سالم ، اشكالية استخدام تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد 3 سبتمبر 1983 ، ص 50 .
- (45) مصطفى علوي سيف ، مقياس كمي مقترح لتحليل الادراك السياسي العربي ، دراسة في الادراك المصري للتهديد في أزمة 1967 ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد 4 ، المجلد 17 ، شتاء 1989 ، ص 78 .
- ناقش الباحث هذا الموضوع في رسالة الدكتوراه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة سنة 1981 .
- (46) محمد عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 162 - 163 .
- (47) المرجع السابق ، ص 160 - 166 .
- (48) فاروق أبو زيد ، المرجع السابق .
- (49) اشراج الشال ، مرجع سابق ، ص 55 - 56 .
- (50) فاروق أبو زيد ، مرجع سابق .
- (51) محمد عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 158 - 159 .
- (52) مارلين نصر ، مرجع سابق ، ص 52 - 56 .
- (53) فاروق أبو زيد ، مدخل الى علم الصحافة ، القاهرة ، عالم الكتب 1986 ، ص 23 - 24 .

- (54) مارلين نصر ، المرجع السابق ، ص 52 - 53 .
- (55) صالح بن بوزة ، السياسة الاعلامية الجزائرية من 1962 - 1988 ، مع دراسة تحليلية للأخبار الخارجية في جريدتي «الشعب» و«المجاهد» ، رسالة دكتوراه دولة غير منشورة ، جامعة الجزائر ، معهد علوم الاعلام والاتصال ، ص 631 ، 1993 .
- (56) مارلين نصر ، المرجع السابق ، ص 52 - 53 .
- (57) D. MALDIDIER et R. ROBIN «du spectacle au meurtre de l'événement : reportages, commentaires et éditoriaux de presse à propos de charlôty, Mai 1968» in, *Annals économies, sociétés civilisation*, n°3 Mai-Juin 1976, Paris, Armand colin, 1976. p.575.
- (58) IBID, p. 533-583 .
- (59) TRAQUINA NELSON, le produit journalistique : étude comparative des quatre grandes agences de presse occidentales, (Paris, Université. Paris V, rene descartes sciences humaines, SORBONNE, 1980) p.245-266.
- (60) محمد علي محمود شومان ، تطور فكرة القومية العربية في الصحافة المصرية 1924 - 1952 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاعلام ، جامعة القاهرة 1990 .
- (61) حماد إبراهيم حامد ، صورة الولايات المتحدة في الصحف المصرية اليومية ، دراسة مقارنة بين حقبي الستينيات والسبعينيات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاعلام ، جامعة القاهرة 1986 .
- (62) صالح بوزة ، مرجع سابق ، ص 86 .